

منهج نقد الخبر عند ابن قيم الجوزية من خلال كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف

*The method of criticizing news according to Ibn Qayyim Al-Jawziyyah
through his book Al-Manar Al-Munif in Al-Sahih and Al-Da'eef*

ط.د. حنان شطاح

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية،

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

chettahhanan@gmail.com

أ.د. فاطمة بوعمامة

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

bouamamafatma@outlook.fr

تاريخ النشر: 2025/03/31

تاريخ القبول: 2025/01/14

تاريخ الإرسال: 2024/05/30

المؤلف المراسل: حنان شطاح، chettahhanan@gmail.com

الملخص:

تناول هذا البحث منهج نقد الخبر عند ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - من خلال كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف، وللإجابة على الاشكالية التي تناولناها والمتضمنة دور الرجل في النقد التاريخي، وما هي قواعده في الحكم على الحديث النبوي؟ حاولنا التعرف في البداية على سيرة الرجل العلمية، ومدى تأثره بأحداث عصره، كما قمنا بسرد مختلف تصانيفه في شتى العلوم عامة، وفي الجرح والتعديل خاصة، بعد ذلك أشرنا إلى منهج نقد الخبر عنده في كتيبه عامة، لتتطرق إلى مضمون الكتاب الذي بين أيدينا والأسباب التي جعلت ابن القيم يؤلفه، ومن خلال دراستنا للروايات التي ذكرها فيه: حاولنا التعرف على أسلوبه ومنهجه في الحكم على الروايات، ومما استنتجناه أن الرجل أعطانا أحكاما كلية وقواعد عامة يمكن من خلالها الحكم على الحديث، خاصة بالنسبة للطلبة المبتدئين. كما أنه سهل علينا الحكم على عدد هائل من الأحاديث التي قد يلبس على الباحث في السنة النبوية أمرها، وكيف استطاع واضعها الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أشرنا وباختصار إلى أهم الأخطاء النقدية التي وقع فيها الشيخ في كتابه المنار المنيف. وفي الخاتمة تناولنا أهم النقاط التي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه، ومدى أهمية هذا الكتاب في التعرف على القواعد العامة في عزو الأحاديث النبوية وتحريجها، ودراسة درجة الحديث وحال روايته، مع التعرف على عدد هام من الأحاديث الموضوعية دون اللجوء إلى أمهات الكتب.

الكلمات المفتاحية: النقد، الرواية، المتن، ابن القيم، الحديث.

Abstract:

In this research, we discussed the approach to the news critique of Ibn Kiam Al Jozia through his book Al-Manar Al-Manif and answered questions, including his role in historical critique? and what his rules are for judging the prophetic discourse (Hadith)?

First, getting to know his scientific biography and the extent to which he was affected by the events of his age. We then referred to his method of criticising the news in his other books to address the content of Al-Manar Al-Manif and the reasons for writing the book.

In conclusion, we addressed the most important points that we have reached through this study: the importance of this book in identifying general rules in the attribution and graduation of prophetic discourses; the study of the degree of the Hadith and the status of its novels and narrators, while identifying an important number of Hadiths developed without resorting to main books.

Keywords: Criticism, narration, text, Ibn al-Qayyim, hadith.

1. مقدمة:

بعد أن تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه من التحريف، لم يجد أعداء هذا الدين سوى السنة النبوية لضربه، والتقليل من شأنه، خاصة بعد الأحداث التي عاشها المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فما جاء في السنة من أحاديث ومرويات لم يسلم من حقد الحاقدين، وتعرض له الوضاعون، والكذابون، الذين تطاولوا على كلامه صلى الله عليه وسلم، وهو القائل: من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار. هذا الأمر دعا علماء السنة إلى تمحيصها وغربلتها من تلك الشوائب، فوجد علم مصطلح الحديث الذي يعنى بالحديث وعلومه، وكان لعلم الرجال مكانة هامة في الحكم على الأحاديث جرحا وتعديلا، ثم إن قواعد هذا العلم وإن كانت تبدو مفرقة في كتب المصطلح، تكون في جملتها منهجا متكاملًا يدرس الحديث وينقده من جميع الجهات: من حيث الرواية والرؤية، ومن حيث الأسانيد والمتون، دون نسيان الدقة، والموضوعية. لهذا الغرض وجدت الكثير من المؤلفات التي بذل أصحابها من خلالها جهدهم في تخريج الأحاديث، وتصحيحها، ودرئ الشبه، والكذب عن كلام سيد المرسلين ومن الذين اعتنوا بهذا الجانب العلامة ابن القيم رحمه الله الذي خاض الغمار في علوم الحديث وأفاد في هذا الجانب من خلال العديد من كتبه والتي منها: الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، وزاد المعاد في هدي خير العباد وإعلام الموقعين... وغيرها. والموضوع الذي تناولناه يسلط الضوء على أحد مؤلفات الرجل ألا وهو كتاب: لمعرفة منهجه في هذا الباب، وما هي القواعد التي أمدنا بها للحكم على الحديث؟ حاولنا التعرف على نشأة الرجل وكيف ساهمت بيئته، وظروف عصره في تكوينه، ومن خلال تطرقنا إلى موضوع الكتاب، وأهم الأبواب التي تناولها، إضافة إلى اختيار نماذج من الأخبار والروايات التي تناولها بالجرح، والتعديل في هذا المصنف. سواء بالوصف، أو التحليل والربط، لنحدد منهجه في النقد عامة، وفي هذا الكتاب خاصة.

2. حياة ابن القيم، سيرته العلمية وآثاره:

2.1 حياته وسيرته العلمية:

هو مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين الحنبلي¹، و عرف بابن القيم لأن والده كان قائما على المدرسة الجوزية إحدى أكبر مدارس الحنابلة بالشام، ولد عام 691 هـ، وكانت وفاته ل 571هـ،² وهو علامة حافظ، محدث، مصنف و مشهور، أخذ الكثير من العلم عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ودرس بالمدرسة الصدرية، وكان من أئمة المدرسة الجوزية، كما أخذ ابن القيم الفرائض عن والده،³ و مما قرأناه عن الرجل أنه كان واسع العلم، قال عنه ابن رجب: أنه كان عارفا بالتفسير و علم الحديث و فقهه و معانيه، و اللغة العربية و أصولها، و النحو، و علم الكلام، و غير ذلك. كما كان عالما بعلم السلوك و كلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم له في كل من هذه الفنون اليد الطولى.⁴ وسأل أبو بكر بن المحب شيخه الحافظ المزني عن ابن القيم هل هو في درجة ابن

خزيمة؟ فقال هو في هذا الزمن -يقصد زمن ابن القيم- كابن خزيمة في زمانه.⁵ كان محبا لابن تيمية فمن معالم حبه للرجل أنه كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل وينتصر له في جميع ذلك، إضافة إلى تهذيبه كتبه، ونشر علمه.⁶ حتى أنه اعتقل بسبب فتاوي شيخ الإسلام، قال ابن كثير كان ملازما للاشتغال بالعلم وكثرة الصلاة والتعب.⁷

2.2 تصانيفه:

ألف الشيخ تصانيف عديدة حتى قال عنه الذهبي: ما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل⁸، وذكر ابن حجر أن تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف⁹، ولكثرة مؤلفات الشيخ: سذكر أشهرها في العقيدة: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وشرح الأسماء الحسنى، وهداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى. وفي الفقه: أحكام أهل الذمة والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، كما له عدة كتب في علوم القرآن منها: الأمثال في القرآن الكريم، ولأن موضوعنا هذا يتعلق بنقد الخبر فإن من أهم تصانيف الرجل في علم الحديث: كتاب تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة. والجامع بين السنن والآثار¹⁰، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف (موضوع الدراسة). كما له تصانيف في التزكية والشمائل الحمديّة، وغيرها كثير.

3. عصره وبيئته:

يمكن القول أن للبيئة دور كبير في نشأة و تكوين المرء، و عليه فإنه لا يمكننا أثناء الحديث عن المساهمة العلمية لابن القيم الجوزية أن لا نسلط الضوء على البيئة التي ترعرع فيها، وأهم الأحداث التي عاصرها، سواء كانت أحداثا سياسية أو دينية، فكلاهما مرتبط ببعضه ارتباطا وثيقا، كما أن موضوع الدراسة ألا وهو منهج نقد الخبر يتطلب منا التطرق لأهم الأحداث الحاصلة آنذاك للتعرف على مدى مساهمة هذه الأحداث في تكوين الرجل و أبحاثه التي قدمها، نظرا لما يعيشه الدعاة، و العلماء و المصلحون من مشكلات أمتهم، فكما أنهم يؤثرون من خلال التربية، والإصلاح، ونشر الخير والفضيلة، فهم يتأثرون بأحداث العصر تأثرا بليغا، وذلك من خلال نوع المشكلات، والأدواء التي يهتمون بمعالجتها، والطرق التي يسلكونها في ذلك. إضافة إلى نظرة الحكام إليهم ومدى تجاوبهم مع رسالة العلماء. لهذا كان لابد من تسليط الضوء على عصر ابن القيم وبيئته لمعرفة مدى تأثره وتأثيره في ذلك.

3-1. الحالة السياسية:

عاش ابن القيم في الشام أواخر القرن 7 ومنتصف القرن 8 هـ (751/691هـ) قبل هذه الفترة احتاح العالم الإسلامي التتار، واستولوا على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وقتلوا المستعصم بالله وذلك في 656هـ.¹¹ ثم هزم التتار على يد المظفر قطز - سلطان مصر- عام 658هـ بعد استيلائهم على عدة مدن في الشام، محاولين الزحف نحو مصر، كما استولى الصليبيون على الكثير من ديار المسلمين، لكنهم تمكنوا من استرجاعها بعد ذلك.¹²

خلال هذه الأحداث وجد أعداء الدين من الرافضة والنصارى، وغيرهم من الفرق الأرض خصبة لضرب الإسلام، ولأن ابن القيم كان متأثراً بأحداث عصره فقد كان يرد على تلك الفرق فمن أهم ما قاله عن الرافضة: "وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر هولاء ذويه من التتار إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد وحرقت المصاحف وقتل سروات المسلمين "أشرافهم" وعلماؤهم وعبادهم، وخليفتهم إلا بسببهم وجرائمهم؟ ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة وآثارهم في الدين معلومة.¹³ فهذا مما يبين لنا تأثير الرجل بأحداث عصره، وغيرته على هذا الدين، وعلماؤه وعباده الذين راحوا ضحية حقد الرافضة. كما أن الشام (موطن ابن القيم) كانت آنذاك خاضعة في حكمها لسلطة المماليك، غير أنه كان ناقماً على مكانة الخليفة وما وصل إليه وقتها فقال في مدارج السالكين للمعرضين على نصوص الوحي المتقدمين عليها آراء الرجال: "أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان، له السكة والخطبة وماله حكم نافذ ولا سلطان".¹⁴

3-2. الحالة الدينية:

عرفت البيئة التي عاش فيها ابن القيم انتشاراً واسعاً للتعصب المذهبي، فقد كثرت الاختلافات بين الناس عامة، وبين العلماء خاصة. فقيل أن الجامع الأموي بدمشق كان به إمام لكل مذهب و لكل إمام محراب، إضافة إلى وجود العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة والتي كثيراً ما تؤدي إلى الفتن. إضافة إلى الخلاف بين الأشاعرة -الذين كانوا جمهور الشافعية حينها- والحنابلة أهل الحديث، والأثر الذين اضطرم النزاع بينهم بسبب اعتماد الحنابلة على النصوص في دراسة العقائد والأشاعرة على الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي في دراساتها.¹⁵ ومن تأثر ابن القيم بالحياة الدينية آنذاك وقوفه في وجه الأشاعرة، والفرق الضالة كالنصيرية، والرافضة، منتصراً بذلك لعقيدة أهل السنة والجماعة.

4. منهج النقد عند ابن قيم الجوزية في كتبه عامة:

1.4 مكانة ابن القيم في نقد الرجال:

لقد خاض ابن القيم - رحمه الله - غمار هذا الفن بعد أن استقرت قواعده، ودوّنت أقوال الجهابذة النقاد في الرجال جرحاً وتعديلاً، فلم يبق أمام من جاء بعدهم: إلا النظر في أقوال المتقدمين، والاعتماد عليها في الحكم على الرواة. وبالرغم من أن ابن القيم لم يكن له مصنف في هذا الباب، لكن ذلك لم يمنعه من المشاركة الفعالة في الجرح والتعديل، فكانت أقواله المثورة في كتبه أكبر دليل على شخصيته الواضحة المتميزة في ذلك، ولو جُمعت أقواله لكانت مرجعاً لا يُستهان به في هذا الفن. والذي يهْمُنَا أن الشيخ لم يكن مجرد ناقلٍ لأقوال غيره فحسب، وإنما كانت له شخصيته النقدية المتميزة، الأمر الذي أعطى لأحكامه النقدية قيمة حقيقية، وفائدة لا يمكن إغفالها. وتتلخص أهمية أقوال ابن القيم في الجرح والتعديل وأحكامه فيما يلي:

-اجتهاده في الحكم على بعض الرواة المختلف فيهم جرحا وتعديلا، فبعد الدراسة والنظر يفصل في أمرهم، إما بترجيح أحد الأقوال على غيره، أو بالجمع بين تلك الأقوال المتعارضة.¹⁶

فمن أمثلة ما قام فيه بالترجيح: ما جاء في كلامه عن "زيد بن الحواري"، فإنه نقل فيه اختلاف العلماء، ثم رجح جانب التعديل، فقال: "وحسبه رواية شعبة عنه".¹⁷ وقال عن "سعد بن سعيد الأنصاري" مرجحاً تعديله: "ثقة، صدوق روى له مسلم، وروى عنه شعبة، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وابن جريح، وسليمان ابن بلال. وهؤلاء أئمة هذا الشأن".¹⁸

-خروجه بحكم مختصر جامع حول الكثير من الرواة، من خلال عبارة موجزة جامعة، قد تكون بكلمة أو كلمتين، وهو تحصيل لدراسته أقوال العلماء ونظره فيها. وهذا يعود بالفائدة الكبيرة خاصة لمن أراد حكم الرواة خالصا، دون البحث في الكتب المطولة. ومن أمثلة أقواله المختصرة المعتصرة في الرجال قوله في الراوي: "ثقة"¹⁹، أو: "ضعيف"²⁰، أو: "لا يحتج به"²¹. أو: "متروك"، إلى غير ذلك من الأحكام التي صاغها - رحمه الله - بعد دراسة الرجل، مختصراً بذلك تلك الأقوال المتعددة التي قيلت فيه.

2.4 منهجه في نقد الرجال:

أولاً: لم يلتزم ابن القيم - رحمه الله - بطريقة واحدة في الحكم على الراوي. فكما أشرنا سابقا أنه يحكم عليه بنفسه بكلمة أو كلمتين، أو ينقل أقوال العلماء فيه، وهذا حسب ظروف كل راو، وما يقتضيه المقام.²²

ثانياً: قد يختلف حكم ابن القيم - رحمه الله - على الرجل الواحد من مكان لآخر ومن مناسبة لأخرى. فقد يقول القارئ أن هذا تناقض، لكن الأمر وارد فالحكم على الراوي يختلف باختلاف الظروف والمناسبات، بل في غالب الأحيان يخضع لها. ومن أمثلة ذلك: كلامه في الحجاج بن أرطاة، فقد حكم عليه بالضعف في عدة مواطن،²³ كما حكم عليه بالقوة في مواطن أخرى، وذلك عندما يروي ما رواه الناس، ولا ينفرد بما يُنكرُ عليه. فقد قال رحمه الله في حديث جابر رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن الحج والعمرة فطاف لهما طوافاً واحداً": "فيه الحجاج بن أرطاة، وحديثه لا يتزل عن درجة الحسن ما لم ينفرد بشيء، أو يخالف الثقات"²⁴.

ثالثاً: لاحظنا غزارة المعلومات لدى الشيخ خاصة في العبارات التي يطلقها على الحديث و الرواة، كما تميزت بالإحاطة والشمول، والإحاطة، ففي الكثير من الأحيان تتجلى لنا حالة الراوي فقط من خلال تلك العبارات التي يطلقها الشيخ، كقوله: في إبراهيم بن طهمان: "من الحفاظ الأثبات الثقات الذين اتفق الأئمة الستة على إخراج حديثهم، واتفق أصحاب الصحيح -وفيهم الشيخان- على الاحتجاج بحديثه، وشهد له الأئمة بالثقة والصدق، ولم يحفظ عن أحد منهم فيه جرح ولا خدش، ولا يُحفظُ عن أحد من المحدثين قط تعليل حديث رواه، ولا تضعيفه به".²⁵

3.4 منهج ابن القيم في تخريج الحديث وعزوه:

والمقصود هنا منهج ابن القيم في تخريج الحديث وعزوه، والحكم عليه وبيان درجته من حيث الصحة والضعف، وبيان العلة في الحديث، وغيرها. ومن منهجه في عزو الحديث أنه إذا وجد الحديث في الصحيحين فإنه يكتفي بالعزو إليهما، ولا يتعداهما إلا نادراً، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله..." قال: "رواه البخاري ومسلم"²⁶.

إضافة إلى ذلك فإن الشيخ يتوسع في تخريج الحديث الواحد توسعاً كبيراً، ويأتي بجميع رواياته، ويستوفي أغلب طرقه ومن أمثلة ذلك: حديث: "المرء مع من أحب". قال رحمه الله: "رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب، وأبو سعيد الخدري، وأبو ذر، وصفوان بن عسال، وعبد الله بن يزيد الخطمي..." فعدّ تسعة عشر صحابياً، ثم أخذ في تخريج رواية كل صحابي، وبيان درجتها.²⁷

أما في حكمه عن الحديث فإنه حكم على الكثير من الأحاديث التي أوردها في كتبه، واعتنى بها عناية فائقة، كما تركّ جملته كبيرة من الأحاديث لم يحكم عليها، وترك بعضها منها للاستدلال بها لا غير²⁸. كما قد يصرح بعدم معرفته حال الحديث ودرجته من صحة أو ضعف، فيقول مثلاً: "لا أعرف حال هذا الحديث". ويقول: "والله أعلم بحال هذا الحديث"²⁹... إلى غير ذلك، وهذا من كمال تواضعه، وتمام نصحه، رحمه الله تعالى. إضافة إلى: كثرة أحكامه على الحديث وبيان درجته حسب موضوع الكتاب، خاصة في كتب التوحيد والعقيدة، والفقه، بينما يقلّ حكمه في الكتب والمباحث التي تتناول: الزهد والرفائق، والفوائد العامة ونحو ذلك.³⁰

5. منهج نقد الخبر عند ابن القيم من خلال كتابه المنار المنيف:

1.5 موضوع الكتاب:

اشتمل المنار المنيف على الإجابة على ثلاث أسئلة سئل عنها، فكان السؤال الأول عن حديث: "صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك" وكيف يكون هذا التضعيف؟ وقوله عن حديث جويرية: "لقد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن"، وحديث: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر يقوم مقام الشهر"، إضافة إلى حديث: "من دخل السوق فقال لا إله إلا الله..."³¹

وقد قام ابن القيم بالجواب عن هذا السؤال بمسائله الأربعة فبين حال هذه الأحاديث، فوجدنا أن الشيخ تكلم عن الكتب التي وردت فيها هذه الأحاديث كصحيح الإمام أحمد وابن خزيمة ومسنند البزار، كما أشار إلى حال رواة هذه الأحاديث،³² مع ذكر جملة من الفوائد المتعلقة بها.

أما السؤال الثاني: وهو لب الكتاب فقد سئل ابن القيم رحمه الله: هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في إسناده؟ حيث أخذ ابن القيم- في الجواب عن هذا السؤال- بعد أن بين قيمته وعظم شأنه، فذكر جملة من القواعد والضوابط التي يمكن من خلالها معرفة ذلك، حيث أورد جملة من الأحاديث الموضوعية تحت كل قاعدة وقد ذكر ضمن ذلك جملة من الأحكام الكلية الجامعة كقوله: (الأحاديث الواردة في ذلك كلها كذب)، أو: (لا يصح منها شيء)³³ ونحو ذلك. ويمكن القول أن: إجابة الشيخ عن هذا السؤال تعتبر من أهم أبواب الكتاب وأكبرها وأكثرها فائدة.

والسؤال الثالث: عن حديث (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) وكيف يتألف مع أحاديث المهدي وخروجه؟ وما وجه الجمع بينهما؟ وهل في المهدي حديث أم لا؟³⁴ وإجابة على ذلك ذكر الشيخ الأحاديث الواردة في ذكر المهدي وأخباره، وقسمها إلى أربعة أقسام: صحاح، حسان، غرائب، وموضوعة. وذكر أقوال العلماء في المهدي، مع الإشارة إلى من خرج من الكذابين ممن ادعى أنه المهدي.³⁵

بعد ذلك تضمن الكتاب كلامه عن جملة من الأحاديث وبيان صحيحها من ضعيفها، وإزالة الغموض عن بعضها. أما معظم الكتاب فقد اشتمل على مباحث مهمة من الأحاديث الموضوعية وجملة من القواعد والضوابط لمعرفة الحديث الموضوع بالنظر إلى متنه دون إسناده.

نقد المتن: أعطانا ابن القيم من خلال المنار المنيف أحكاماً كلية لمعرفة الخبر الموضوع، حيث وجدنا أن الشيخ رد مئات الروايات وأبطلها بنقد متونها³⁶، فهو ينقدها بتحليلها و عرضها على الوقائع التي تكون أقوى منها، و تعارضها شرعاً وعقلاً، كحديث: (من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له) ، فقال أن رواة أمثال هذه الأحاديث إما أن يكون صاحبها جاهلاً أحمقاً، أو زنديقاً يقصد التنقيص من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم³⁷ ، ولم يكتف بذلك بل كان يدرس لغة الخبر أيضاً، فنجد مثلاً يذكر أن الأحاديث الموضوعية عليها ظلمة و ركافة و مجازفات باردة كحديث: (من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبياً).³⁸ ويورد أكبر قدر من الأدلة التي تثبت رأيه في الحديث.

التعصب والإنصاف في النقد: ممارسة الشيخ لعلم الجرح والتعديل واضحة في كتابه، ولهذا نجد أنه يرد بشدة على الوضاعين والكذابين الذين سولت لهم أنفسهم الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة الرافضة، والمنجمين، وغيرهم، فقال عنهم أنهم أكذب خلق الله، ولعنة الله على الكذابين³⁹، وغيرها من الألفاظ التي تبين تعصبه للحق ونصرة السنة الصحيحة.

اختبار ابن القيم للحديث بعرضه على الروايات الأخرى والأحاديث الثابتة فيتبين بذلك ما وقع فيه من وهم، أو علة وقعت من أهل الصدق".⁴⁰

ينقل ابن القيم أقوال الأئمة في الحكم على الحديث من أجل تأييد حكمه، والتأكيد على صحة اختياره، وذلك من خلال قوله في حديث: "من دخل السوق فقال لا إله إلا الله"⁴¹ قال هذا الحديث معلول أعلاه أئمة الحديث، قال الترمذي هذا حديث غريب وروي من طريق عبد الله بن دينار عن بن عمر،⁴² لكنه معلول أيضا. ثم نقل عن أبي زرعة وأبي حاتم قولهما: هذا حديث منكر، وعن ابن أبي حاتم قوله: "هذا الحديث خطأ"⁴³ يستعين الشيخ في المنار المنيف بالكثير من الأدلة التي يوردها للمسألة الواحدة، حيث ساق في بيان فضل السواك وتأكيده ثمانية عشر حديثا.⁴⁴ ويذكر المؤلف رحمه الله الضابط أو المعيار الذي يعرف به كون الحديث موضوعا، ثم يذكر أمثلة لذلك من الأحاديث الموضوعية، حيث أدخل ضمن هذه الضوابط: أحكاما كلية جامعة كقوله أثناء سرد هذه الضوابط: "ومنها أحاديث العقل كلها كذب"⁴⁵ وقوله: "ومنها أحاديث صلوات الأيام كلها كذب"⁴⁶ وغيرها.

6. نماذج من نقد الخبر عند ابن قيم الجوزية من خلال كتابه المنار المنيف:

نقده أحاديث صلوات الأيام: وقد أشرنا سابقا إلى هذه الأحاديث، ومن ذلك حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ في كل ركعة الحمد، وآمن الرسول إلى آخرها، كتب الله له ألف حجة، وألف عمرة وألف غزوة، وبكل ركعة ألف صلاة، وجعل بينه وبين النار ألف خندق، فقبح الله واضعه ما أجرأه على الله ورسوله.⁴⁷

نقده أحاديث الديك: "حديث من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر"، وحديث "إن الله ديكاً عنقه مطوية تحت العرش ورجلاه في التخوم"، وحديث: "لا تسبوا الديك فإنه صديقي ولو يعلم بنو آدم ما في صوته لا شتروا ريشه ولحمه بالذهب". فذكر أن كل أحاديث الديك كذب إلا حديث: "إذا سمعتم صياح الديكة فسالوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً".⁴⁸

نقده أحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد: وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار. فذكر أن هذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم، لأن النجاة من النار تكون بالأعمال الصالحة والإيمان، لا بالأسماء والألقاب.⁴⁹

نقده حديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بالخلافة: فالرافضة أكذب الطوائف، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي بعد حجة الوداع، لكن الصحابة اتفقوا على كتمان ذلك، وهذا غير صحيح⁵⁰ نقده أحاديث الحميراء: كحديث "يا حميراء لا تغتسلي بالماء المشمس فإنه يورث البرص"⁵¹ فأشار إلى أن كل حديث فيه يا حميراء، هو حديث مكذوب.

نقده أحاديث العقل: كقوله "لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي"⁵². حيث نفى ابن القيم صحة أحاديث العقل كلها.

نقده أحاديث الخضر: فذكر أن الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد" كحديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من ورائه فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر"⁵³

- نقده أحاديث: الحمام والدجاج والتواريخ المستقبلية، وفضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وما وضعه الرافضة في فضل علي يفوق ثلاث مائة ألف حديث. وكذلك أحاديث الأرز والعدس، والكراث، وغيرها.⁵⁴

حديث: " لا مهدي إلا عيسى بن مريم": وجدنا أن الشيخ ذكر الأحاديث الواردة في المهدي، ثم صنفها إلى أربعة أقسام: منها ما هو صحيح، حسن، غريب، وأخرى موضوعة.⁵⁵

7. نماذج من الأخطاء النقدية في كتاب ابن القيم:

وجدنا أن الشيخ يقوم بعزو الحديث لمؤلف من المؤلفين، لكنه لا يحدد الكتاب الذي أخرج فيه، وهذا الأمر قد يؤدي بنا إلى الالتباس، خاصة إذا كان للمؤلف عدة كتب، ومن أمثلة ذلك الحديث الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين ثم ينصرف فيستاك وهذا في صلاة الليل. فقد عزاه إلى سنن النسائي⁵⁶ مع أن الحديث ليس في الصغرى كما هو المتبادر على الإطلاق وإنما هو في الكبرى.

- قد يذكر الحديث عند تخريجه إياه بالمعنى ولا يلتزم بذكر لفظه⁵⁷، وهذا والله أعلم يقع في بعض الأحاديث التي يذكرها من حفظه الخاص دون التي ينقلها من مصادرها. ومع ذلك فالغالب عليه رحمه الله المحافظة على لفظ الحديث ونقله بنصه كما يظهر عند المقارنة بين كثير من النصوص الحديثية ومصادرها التي نقل عنها وعزى إليها.⁵⁸

- في كثير من الأحيان ينقل أقوال الأئمة في الحكم على الحديث تأييدا لحكمه وتأكيذا لاختياره فمن ذلك قوله في حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله، فهذا الحديث أعله أئمة الحديث، قال الترمذي هذا حديث غريب وروي من طريق عبد الله بن دينار عن بن عمر لكنه معلول أيضا. ثم نقل عن أبي زرعة وأبي حاتم قولهما: هذا حديث منكر وعن ابن أبي حاتم قوله هذا الحديث خطأ.⁵⁹

- الاكثار من الأدلة التي يوردها للمسألة الواحدة حيث ساق في بيان فضل السواك وتأكيده ثمانية عشر حديثا.⁶⁰

- ذكر العديد من الضوابط والمعايير التي يعرف بها كون الحديث موضوعا، حيث أدخل ضمن هذه الضوابط أحكاما كلية جامعة فهل هذه الأحكام الكلية الجامعة تدخل ضمن تلك القواعد التي يستدل بها على وضع الحديث؟ يمكن القول أن هذه القواعد تعين الناظر على معرفة كون الحديث ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحسن تطبيقها، أما هذه الأحكام الكلية على أحاديث أبواب يعينها فإنها من تطبيقات هذه القواعد ولا يصل إليها الشخص إلا بعد بحث ودرس لأحاديث ذلك الباب وجمعها.

8. الاستنتاج:

نستنتج من خلال هذا البحث أن الشيخ ابن القيم الجوزية قد أسهم وبشكل مهم في نقد الحديث ودراسته متنا وإسنادا من خلال كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف، وإن كان منهجه في النقد في كتبه عامة لا يختلف عن منهجه في النقد في هذا الكتاب، غير أنه هذه المرة أعطانا أحكاما عامة ومختصرة يمكننا من خلالها الحكم على الحديث ورواته، كما قدم لنا عددا هاما من الأحاديث الموضوعية، فبين حالها جملة واحدة، دون التفصيل فيها، مع بيان العلة و كيف نستخرجها من الحديث اختصارا دون اللجوء إلى أمهات الكتب في هذا المجال، كالتمعن في لغة الحديث والأكاذيب الواضحة على تلك الفرق التي حاولت ضرب السنة النبوية و تشويهها حقدا على الإسلام.

9. خاتمة:

من خلال البحث يمكن القول أن ابن القيم أدى دورا هاما في النقد التاريخي، حتى وإن كانت مصنفاته في هذا الباب قليلة، فأكثر تصانيف الرجل كانت في الزهد والرقائق، وما شابه، لكن مصنفاته تلك على قلتها فقد كانت شاملة، مختصرة للعديد من الأساليب التي يجب اعتمادها في دراسة الحديث، من خلال عزوه، ومعرفة درجته، وعرض حال رواته، وغير ذلك. وكتابه المنار المنيف، يعتبر من أهم كتبه في هذا المجال، فمن أهم النتائج التي خلصنا إليها من خلاله ندرجها في النقاط التالية:

❖ الضوابط المختصرة التي تعرفنا على الحديث الموضوع ك لغة الحديث، أو تلك القصص التي يتبادر لذهن القارئ أنها من الأخبار المكذوبة، بل المختلفة والتي لا أصل لها في الواقع.

❖ ذكر عدد هام من الأحاديث الموضوعية التي جاء كلام ابن القيم فيها معتصرا، ومختصرا مما يُجنب الباحث في هذا المجال الخوض في الكتب المطولة، وأمهات الكتب.

❖ من خلال البحث يتبين أن الرجل لم يمنعه أي مانع في الرد على الطوائف التي تفننت في الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة الرافضة الذين وصفهم بالزنادقة. فلم يكن رجل أهواء أو ميول سياسي، أو ولاء للسلطان.

❖ إضافة إلى هذا كله فإن الشيخ ابن القيم لم يكن يكتف بأقواله في تلك الروايات، بل كان يضيف إلى آرائه آراء العلماء، كما يعرضها على مرويات أخرى، لتحديد العلة فيها.

❖ — لم يكن ابن القيم يقدح في الرواية إلا إذا كان ما فيها يتعارض مع الشرع والعقل. بل إن معرفته بالحديث تجعله يتأكد من عدم صحة الحديث من خلال لغة الحديث وألفاظه الغريبة، دون النظر في حال رواته.

التوصيات والاقتراحات:

1. ضرورة اهتمام طلاب العلم بنقد الخبر لأنه أساسي لتمحيص التاريخ وتصحيحه من الأخطاء والأكاذيب.
2. السعي لإفراد ما كتبه الشيخ ابن القيم الجوزية في نقد الحديث بمؤلفات ودراسات خاصة كأعمال فريدة تضم إلى مكتبة السنة النبوية.
3. ضرورة عودة الطلبة والمختصين في هذا المجال إلى مؤلفات ابن القيم والاعتماد على القواعد التي قدمها لتسهيل نقد الحديث النبوي، ومعرفة صحيحه من سقيمه.

10. الهوامش:

- ¹ الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات، 1420هـ، ط1، بيروت، دار احياء التراث، ج21، ص156.
- ² ابن رجب عبد الرحمان: الذيل على طبقات الحنابلة، 1425هـ، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، ج5، ص170.
- ³ ابن حجر شهاب الدين العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 1392هـ، ط2، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ج3، ص115.
- ⁴ ابن رجب عبد الرحمان: المصدر نفسه، ج6، ص447.
- ⁵ ابن ناصر الدين محمد: الرد الوافر، 1393هـ، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي، ص28.
- ⁶ ابن بدوي وليد بن حسني الأموي: معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، 1431هـ، المكتبة الشاملة، ص48.
- ⁷ ابن كثير إسماعيل: البداية والنهاية، 1408هـ، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج14، ص234.
- ⁸ الذهبي شمس الدين: تذكرة الحفاظ، 1419هـ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج4، ص93.
- ⁹ ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، ج5، ص139.
- ¹⁰ هذا الكتاب من المصنفات المفقودة حيث لم تصلنا نسخة عنه، ذكره ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد. لهذا انظر ابن قيم الجوزية شمس الدين: بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتب العربي، ج4، ص68.
- ¹¹ ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص364.
- ¹² ابن كثير، المصدر نفسه، ج17، ص410.
- ¹³ ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 1441هـ، ط2، بيروت، دار ابن حزم، ج1، ص113.
- ¹⁴ ابن قيم الجوزية: نفسه، ج1، ص7.
- ¹⁵ بشار عواد: الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، 1976، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، ص76.
- ¹⁶ محمد السيد جمال، 1412هـ. ابن القيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية. رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص421.
- ¹⁷ ابن القيم: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 1440هـ، ط4، الرياض، دار عطاءات العلم، ج1، ص504.
- ¹⁸ ابن القيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داود، 1440هـ، ط2، الرياض، دار عطاءات العلم، ج2، ص129.

- ¹⁹ ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، 1407هـ، ط14، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج5، ص511.
- ²⁰ نفسه، ج2، ص417.
- ²¹ نفسه، ج1، ص197.
- ²² محمد جمال السيد: المرجع نفسه، ص422.
- ²³ ابن القيم: زاد المعاد، ج1، ص432.
- ²⁴ ابن القيم: المصدر نفسه، ج2، ص111.
- ²⁵ ابن القيم: زاد المعاد، ج5، ص627. والذهبي شمس الدين: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 1382هـ، ط1، بيروت، دار المعرفة، ج1، ص38.
- ²⁶ ابن القيم الجوزية: كتاب الصلاة وحكم تاركها، المنصورة، مكتبة الإيمان، ص8.
- ²⁷ ابن القيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، 1428هـ، ط1، الرياض، مكتبة المعارف، ص14.
- ²⁸ محمد السيد: المرجع نفسه، ص25.
- ²⁹ محمد السيد: المرجع نفسه، ص27.
- ³⁰ محمد السيد: المرجع نفسه، ص28.
- ³¹ ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، 1403هـ، ط2، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ص19.
- ³² ابن القيم الجوزية: المصدر نفسه، ص20 وما بعدها.
- ³³ ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه، ص44.
- ³⁴ ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه، ص141.
- ³⁵ أشار المهدي إلى مهدي الرافضة، والمغاربة، واليهود والنصارى. انظر ابن قيم الجوزية: المنار المنيف، ص154، 155.
- ³⁶ كحديث: من صلى ليلة الأحد أربع ركعات...، وحديث من صلى ليلة الإثنين ست ركعات... وغيرها.
- ³⁷ ابن القيم: المنار المنيف، المرجع نفسه، ص51.
- ³⁸ ابن القيم: المنار المنيف، المرجع نفسه، ص50.
- ³⁹ ابن القيم: المنار المنيف، المرجع نفسه، ص57.
- ⁴⁰ الحديث المعلوم هو "الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدر في صحته مع أن ظاهره السلامة منها. ابن الصلاح: المقدمة، 1406هـ، سوريا، دار الفكر، ص90.
- ⁴¹ ابن القيم: المنار المنيف، ص41.
- ⁴² وابن دينار ضعفه ابن حجر، والذهبي. انظر الذهبي: ميزان الاعتدال، ج2، ص417.
- ⁴³ ابن القيم: المصدر نفسه، ص42، 41.
- ⁴⁴ ابن القيم: المصدر نفسه، ص28، 23.
- ⁴⁵ ابن القيم: المصدر نفسه، ص66.
- ⁴⁶ ابن القيم: المصدر نفسه، ص95.
- ⁴⁷ ابن القيم: المصدر نفسه، ص48.

⁴⁸ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 56، 55.

⁴⁹ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 57.

⁵⁰ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 57.

⁵¹ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 60.

⁵² ابن القيم: المصدر نفسه، ص 66.

⁵³ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 67.

⁵⁴ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 106، 115، 108.

⁵⁵ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 148، 155.

⁵⁶ ابن القيم: المنار المنيف، المصدر نفسه، ص 27.

⁵⁷ ابن القيم: المنار المنيف، ص 83.

⁵⁸ محمد السيد، المرجع السابق، ص 454.

⁵⁹ ابن القيم: المنار المنيف، ص 41، 42.

⁶⁰ ابن القيم: المصدر نفسه، ص 28.

11. المصادر والمراجع:

1. ابن الصلاح: المقدمة، 1406هـ، سوريا، دار الفكر.
2. ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتب العربي.
3. ابن قيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داوود وإيضاح مشكلاته، 1428هـ، ط1، الرياض، مكتبة المعارف.
4. ابن قيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داوود، 1440هـ، ط2، الرياض، دار عطاءات العلم.
5. ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، 1440هـ، ط4، الرياض، دار عطاءات العلم.
6. ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، 1407هـ، ط14، بيروت، مؤسسة الرسالة.
7. ابن قيم الجوزية: كتاب الصلاة وحكم تاركها، المنصورة، مكتبة الإيمان.
8. ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 1441هـ، ط2، بيروت، دار ابن حزم.
9. ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، 1403هـ، ط2، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية.
10. ابن بدوي وليد بن حسني الأموي: معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، 1431هـ، المكتبة الشاملة.
11. ابن حجر شهاب الدين العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 1392هـ، ط2، الهند، دائرة المعارف العثمانية.

12. ابن رجب عبد الرحمان: الذيل على طبقات الحنابلة، 1425هـ، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان.
13. ابن كثير إسماعيل: البداية والنهاية، 1408هـ، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
14. ابن ناصر الدين محمد: الرد الوافر، 1393هـ، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي.
15. بشار عواد: الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، 1976، ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي.
16. الذهبي شمس الدين: تذكرة الحفاظ، 1419هـ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
17. الذهبي شمس الدين: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 1382هـ، ط1، بيروت، دار المعرفة.
18. الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات، 1420هـ، ط1، بيروت، دار إحياء التراث.

الرسائل الجامعية:

19. محمد السيد جمال، 1412هـ. ابن القيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية. رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.